تأملات في شعر مجد الدين الذروي السليماني

د/يحيى محمد حسان
أستاذ الأدب الوسيط المشارك آداب جامعة تعز

ملخص البحث

عاش شاعرنا في النصف الأخير من القرن التاسع ومطلع القرن العاشر الهجري ، وهي فترة تشظى فيها الوطن العربي ، و تجزأ فيما عرف بعصر الدول والإمارات ، ووهت الثقافة وضعف الأدب واشتغل الشعراء بالصنعة وبالزخارف اللفظية والمحسنات البديعية المتكلفة والغزل الشاذ والمجون ، لذا هدف البحث الذي بين أيدينا إلى الإجابة عن التساؤل عن مدى تأثر الشاعر بما كان سائدا في عصره .

لقد أمضى الشاعر حياته منتقلا بين موطنه الأول صبيا وبين الحجاز حتى ا ستقر به المقام في جازان لدى ممدوحه السلطان المهدي بن دريب حيث قصر مدحه عليه ، وشاركه معاناته وما يلاقيه من خصومه من مكايد وحروب فلم يكن لديه متسع من الوقت للهو أ وترف في القول أو الفعل ، وكان المديح لهذا السلطان هو أبرز أغراضه ، وقد تميز مديحه بالغلو ، كما برز تأثره بمن سبقه من الشعراء ، و تجلى عزوفه عن شعر المجون وعن الشغف بالمحسنات .

المقدمة :

عج اليمن في مختلف عصور الأدب بالكثير من الشعراء وقد ظل كثير من أولئك الشعراء في طي النسيان ليس لرداءة إبداعهم أو قلته ولكن لأسباب عدة منها:

أولاً : عزوف الباحثين عن البحث في شعر العصر الوسيط لما شاع عنه من ضعف وركاكة ومن ولع بالبديع والصنعة والاشتغال بالزخرفة اللفظية على حساب المعاني ، والركون إلى التقليد والمحاكاة ، والميل إلى العامية والابتذال والجنوح إلى المجون والغزل الشاذ، لذا عندما عثرت على ديوان الجراح بن شاجر في معهد المخطوطات العربية في القاهرة أحببت أن أقف على أبرز الملامح في شعره ، ومدى قربه أو بعده من تلك السمات ، وقد قرأت النتائج التي خلص إليها الباحث أحمد محمد المحنبي وختم بها دراسته لديوان الشاعر موضوع البحث –الجراح بن شاجر– وهي : (إن ديوان جراح فريد لأمور منها : أنه ديوان في أمير واحد ، ديوان شريف من أهل المخلاف السليماني في شريف أخر، ومنها :أنه ديوان أخلص للمديح ، ومنها : أنه يبين ما وصل إليه شعر وسط الجزيرة ، ويصور ما كان في بيئة الشاعر بين الأمير ورعيته.([1])

ولاحظت أنه لا يزال في طي هذا الديوان الكثير، ولا زالت هناك أسئلة واستفسارات لم يجب عليها

1) محمد أحمد المحنبي : ديوان جراح بن شاجر ، دراسة وتحقيق ، ص 57، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة.

المحقق.

ثانياً : تلك العزلة التي عاشها اليمن ردحاً من الزمن ، وتأخر وصول المطابع ووسائل النشر الحديثة ، الأمر الذي حجب كثيراً من الآثار الأدبية عن الباحثين والدارسين في داخل اليمن وخارجه وأبقى كثيراً من الشعراء طي النسيان، لذا أحببت المشاركة بذكر أحد الشعراء ولفت أنظار الباحثين إلى ذلك وإماطة اللثام عن ما هنالك.

الشاعر وعصره :

هو : جراح بن شاجر بن حسن المعروف بالذروي نسبة إلى جده ذروة بن الحسن ، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وبالسليماني نسبه إلى جده سليمان بن عبدالله بن موسى الجون ، كما يلقب بالشريف ، وبمجد الدين.

ولد في القرن التاسع الهجري ، في وادي صبيا ، وكانت وفاته في مطلع القرن العاشر ، وعاش متنقلاً بين الحجاز وموطنه المخلاف السليماني في تهامة من أرض اليمن.

لم يرد ذكر الشاعر إلا في النادر في المصادر والمراجع وأوردته مجملة تاريخ مولده ووفاته دون تفصيل ، منهم بروكلمان في تاريخه ومحمد زبارة في نيل الحسنيين ، ومحمد بن احمد العقيلي في تقديمه لما نشره من شعره وعمر رضا كحالة في كتابه : معجم المؤلفين([1]) حيث لم يزد على قوله فيه : إنه عاش في القرن التاسع ، ومحمد احمد المحنّبي في ديوانه الذي حققه ونال به درجة الماجستير من جامعة ام القرى عام 1408- 1409م ورجح أن مولده في العقد السابع من القرن التاسع وان وفاته في الربع الأول من القرن العاشر مستدلاً على ذلك بالأحداث ، والباحث هنا يشاركه الرأي ، فالنصوص الذي بين أيدينا تؤكد ذلك ، وكما سبق الحديث فالشاعر عاش جل حياته في النصف الثاني من القرن التاسع وكانت وفاته في مطلع القرن العاشر فممد وحو الشاعر كلهم عاشوا في هذه الفترة من الزمن ، وأبرزهم المهدي محمد بن أحمد بن دريب القطبي الحسني ، أمير جازان (912- 925) الذي استأثر بجل مديحه، فهو معه كالمتنبي مع سيف الدولة .

وإذا كان الشاعر قد تنقل فترة من الزمن بين مدن الحجاز يمدح أمراءها ويحظى عندهم بالقبول قبل ان يستقر به المقام في جازان ، حيث يقول مخاطباً ابن دريب :([2])

أنا من علمت أديبك الرق الذي في سوحك المأنوس حل وطنّبا

صيرت جازان الخصيب وأهله حجا وخلفت الحجاز ويثربا

وبها ملوك كان عبدك عندهم دون الصديق مقرّبا ومحببا

فإنه كما يصرّح في البيت الثاني قد حل في جازان ، وعاش فيها يتقلب في كنف ممدوحه ، وينعم

1) عمر رضا كحالة :معجم المؤلفين ،ج3، ص16، دار إحياء التراث ، بيروت ، بدون تاريخ .

2) الجراح بن شاجر : الديوان ، ص88، مخطوط مصور عن معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، رقم 947.

بخيراته ووافر عطائه ، وها هو يخاطبه قائلاً :([1])

ملكتنـــــي ملكـــــك الله مـــــا غيّـــــر ملكـــــك فالعـــــالم لـــــي غـــــابطون
مـــا قلـــت لـــي لا قـــط مـــن حاجـــة لا والـــــذي نحـــــن لـــــه عابـــــدون
كـــم صـــامت عنـــدي وكـــم نـــاطق منـــك وكـــم نيـــر كثيـــر الغصـــون
فاســـتوفي شـــكري لـــك إنـــي امـــرؤ عليـــك لـــي قـــد كثـــر الحاســـدون

والشاعر يبادل الحب بالحب والعطاء بالعطاء ، فإذا كان السلطان قد أكرمه بالمال وأجزل له العطاء فإن الشاعر قد زين جيد السلطان بقلائد من جواهر مديحه ، وهو شديد التمسك بجناب السلطان حريص على صحبته ، عاقد العزم على عدم مفارقته ، حيث يقول مخاطباً له:([2])

وأنـــا الـــذي نظـــم القـــريظ قلائـــداً طـــرّا وأفرطهـــا عُـــلاك وشـــنّفا
والله مـــالي عـــن جنابـــك نبـــوة إن لـــم تصـــدقني فهـــات المصـــحفا

ويؤكد قوة هذه العلاقة وحميميتها كون السلطان قد جعل من الشاعر ناطقاً باسمه ومعبراً عن مواقفه يخاطب من خلال قصائده الملوك والأمراء . كما في القصيدة التالية التي وجهها إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب التي مطلعها :([3])

إن بـــان مـــن نحـــن نهـــواه ويهوانـــا فـــوده المحـــض فـــي الأكبـــاد مـــا بانـــا

وقصيدة أخرى مطلعها :([4])

يـــا ســـاكنين الحمـــى مـــن ســـفح نعمانـــا لا غيـــــر الله نعمـــــاكم ونعمانـــــا

وهذه القصيدة التي وجهها إلى الشيخ عامر بن عبد الوهاب الطاهري والتي مطلعها : ([5])

إن صـــدقت لـــي مـــنكم الوعـــود اخضـــــر منـــــي ورق وعـــــود

ومن خلال هذه المدائح نستشف الوضع السياسي في موطن الشاعر– جازان– وما كان يربط أمراءها من آل دريب بالطاهريين من علاقات قوية تتسم بالمحبة المتبادلة ، والولاء والطاعة من قبل آل دريب للطاهريين ، يقول مخاطباً السلطان الطاهري : ([6])

ونحـــن والله لكـــم مـــن قـــادم جنـــد علـــى الطاعـــة لا نحيـــد

وإذا كانت هذه العلاقة قد اتسمت بالمودة والموالاة للطاهريين من قبل آل دريب ، وهو ما أكسب منطقتهم أمنا واستقراراً ، لا سيما وهي على طريق الحج والتجارة بين اليمن والحجاز ، فإنه كان هناك ما

1) المصد ر نفسه: ص28.
2) الد يوان :ص41.
3) ا لد يوان :ص947.
4) المصدر نفسه :ص184.
5) المصدر نفسه :ص175.
6) المصدر نفسه :ص178.

يكدر الوضع ويزعزع الاستقرار وهو سوء العلاقات مع حكام مكة من الأشراف ، إذ كانت العلاقة معهم على عكس العلاقة مع الطاهرين يسودها الخلاف والنزاع وكثيراً ما ينشب القتال معهم ، بل ربما غزوا جازان وقتلوا رجالها واستباحوا أرضها ، يقول صاحب غاية الأماني : ((ولما وصل صاحب مكة إلى قريب جازان ترددت الرسل بينه وبين صاحب جازان بالصلح ، فلم ينتظم لهم أمر بل وقع الحرب الشديد الذي ليس عليه من مزيد فأنهزم صاحب جازان .... واستولى الشريف محمد على جازان ،وأذاق أهلها طعم الذل والهوان وانتهكت المحارم وفعلت العظائم ولم يسلم من الهتك أحد . وهدمت دور الأمراء في جازان وأخرب سورها ، ولم يبق فيها بقية ، وفرّ ولد صاحب جازان إلى زبيد ، فأكرمه الشيخ يوسف بن عامر بن طاهر غاية الإكرام وآنسه الإيناس التام ، وبعث به إلى عمه المجاهد ، فأعطاه عطاءً جزيلاً ورده مكرماً))([1]) وهكذا يتضح من خلال النص الذي بين أيدينا أن الطاهريين قد مثلوا لآل دريب في هذه الفترة من الزمن سنداً وعونا وملجا يلجئون إليهم عند الشدائد ، وهذا ما يثبته النص الذي بين أيدينا حيث يقول أمير جازان على لسان الشاعر مخاطباً السلطان عامر الطاهري : ([2])

لكم علينا نعم سابغة بها يقرّ اللحم والجلود
وإنني غرسك غير منكر فضلك إن أنكره الجحود
في عنقي طوق أياديك وفي رجلي حجل العز لا القيود
إني إن عظمتني معظّم حقاً وإن مجدتني مجيد
فليهنني أنك لي سيّدي ركن وفوقي ظلك المديد
لا زلت في الملك العظيم خالداً ما سبّحت في السحب الرعود

ويقول من قصيدة أخرى : ([3])

إلى صلاح الهدى والدين من ملأت به الأقاليم إسلاما وإيمانا
القائم الملك الوافي الذمام ومن أضحى إماما لنا حقا وسلطانا
خليفة حاطنا مما نحاذره وذب عنا ووالانا وأولانا
وقبل الكف والأقدام منه وقل لازلت ما صافحت ريح
الصبا البانا يا عامر الدين والدنيا إني لبيتك يا بن الشم سلمانا

غير أن الأمور تغيرت سلبياً فإذا كان الزمن كفيلاً بتغيير الأمور فإن التاريخ يخبرنا أن العلاقات بين آل دريب وبين الطاهريين قد ساءت عند نهاية الدولة الطاهرية ، حيث ((كان الأشراف . آل دريب . في جازان على اتصال سابق بالسلطان الغوري في مصر، وقد عمل هؤلاء على التقرب من المماليك في

1) يحيى بن الحسين : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، القسم الثاني ، ص 609، تحقيق د:سعيد عبدالفتاح عاشور ،د.محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، 1958م.
2) الديوان : ص178.
3) الديوا ن :ص182.

مصر وشجعوهم على إرسال حملة إلى اليمن للقضاء على حكم الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب وكان الملك الظافر يعترف بحكم هؤلاء الأشراف في جازان مقابل أن يدفعوا له خراجاً سنوياً ولكن طمع هؤلاء في التخلص من مظاهر تبعيتهم للملك الظافر عامر، ومن دفع الخراج له ... وعند مجيء الحملة البحرية إلى ميناء جازان أرسل أميرها أخاه عز الدين بن أحمد بن دريب إلى حسين الكردي ليكون مرافقاً له إلى جزيرة كمران ...)) ([1]) وهكذا شارك آل دريب المماليك وأ عانوهم في حملتهم ضد الدولة الطاهرية بعد أن كانوا حلفاءها وأعوانها.

ديوانه :

أما ديوان الجراح بن شاجر الذروي فقد تأكدت صحة نسبته إليه ، حيث لم يشكك أحد من الأدباء أو الباحثين في صحة نسبته بل أشار إليه جل من ترجم له من الأدباء أو الباحثين ، منهم معاصره عبد العزيز بن فهد المكي (ت 922هـ) . ومنهم عبد الله بن علي الضمدي (ت 1050هـ) القائل عند حديثه عن المهدي محمد بن أحمد بن دريب : (ومدحه شعراء عصره ومنهم الشاعر الجراح بن شاجر بن حسن الذروي ، له ديوان فيه مشهور متداول بأيدي الناس([2]) ومن المتأخرين بروكلمان ، وعمر رضا كحالة ، وغيرهما ممن سبق ذكرهم.

أما نسخ الديوان فهي موزعة في أكثر من مكتبة في العالم ، منها نسخة في مكتبة الجامعة العربية في القاهرة رقم (36أدب) ونسخة في مكتبة مكة المكرمة (821) ، ونسخة في معهد المخطوطات العربية في القاهرة تحت رقم : (947) مصورة عن نسخة في المتحف البريطاني رقمها : (00116/ 409) وهي النسخة التي بين يدي الباحث والتي يشار إليها في الهامش باسم : الديوان.

شعره :

الناظر في شعره يجد :الهجاء والشكوى والعتاب ، إلا أن المديح يأتي في المقدمة ، فهو أبرز أغراضه وإلى جانب المديح هناك الغزل والوصف ، وقد ارتبطا بقصيدة المديح الذي وإن كان قد نال بعض السلاطين والأمراء نصيبهم منه إلا أن جلّه في مدح السلطان محمد بن احمد بن دريب . أمير جازان .

1) محمود أحمد الفيصلي : تاريخ الدولة الطاهرية ، ص120، الهيئة العامة للكتاب ، دار الكتب ، صنعاء ، ط1، 2005م.

2) عبدالله علي الضمدي :العقيق اليماني 137م رقم 1433، مكتبة جامعة الملك عبدالعزيز، جدة ، وانظر عبدالعزيز بن فهد المكي :غاية المرام ، ج2، ص218–392، تحقيق :فهيم شانتوت ، دار الندوة، مكة المكرمة ، 1988، بروكلمان :تاريخ الأدب العربي ، ص7، ص101،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.

المديح :

وهو مديح تقليدي يلتزم الشاعر فيه نظام القصيدة العمودية المألوفة حيث يفتتح قصيدته بمقدمة غزلية يتخلص منها إلى غرضه الأساسي ثم يختمها ، وقد يشذ الشاعر عن هذا النظام فيفتتح قصيدته مباشرة بالمدح أو ينتقل من المقدمة إلى غرضه دون اهتمام بحسن التخلص .

وقد أخلص الشاعر لممدوحه وقابل العطاء بالعطاء ، وإذا كان الممدوح قد أعطى الشاعر ما ينفد فإن الشاعر أعطى الممدوح ثناء يتردد صداه مدى الزمن ، وقد أشاد بكرمه ومحاسنه ، وذكر أخباره ومواقفه وسجّل وقائعه وانتصاراته،وها هو يقرر موقف قومه وأجناده منه ، وما فعل كرمه معهم ، وكيف اصطنعهم بجوده فأحبوه وسعدوا به وفضلوه على غيره من الأمراء ، يخاطبه قائلاً : ([1])

فانعم فأنت حقيق يا جمال بها عمن سواك ولا زيد ولا عمر
الكل من قومك الغلب الكرام معاً راض بها لك والأجناد والوزر
فالعرب والعجم يابن الشم في فرح يروق يا خير من تاهت به مضر
أنت الأمام أمير المؤمنين ومن طاب الزمان به والبدر والحضر
حياض جودك للعافين منزعة وبحر فضلك عذب سلسل حصر
تقري الضيوف كما تعطي الألوف وما تزال تتلف ما تحوى وتعتذر

وها هو يسجّل أحد مواقفه الحربية حيث هاجم خصومه الذين سبق أن عاهدوه ، ولكنهم خانوا العهد ، فداهمهم بجنوده في ظلام الليل ، فقتل من قتل وفرّ من فر :([2])

وسل عن بأسه قوما خباثاً إذا ما عاهدوا قالوا نكثنا
ألم يقصد منازلهم بجمع كجنح الليل حين دنا وجنّا
كأن البيض والبيض المواضي نجوم في جوانبه طلعنا
فحين تقابل الجيشان فروا وأدبر منهم الاقصا والادنا
فأجلوا من منازلهم جهاراً وخلوا كل غانية ومغنا

ويقول من قصيدة أخرى مشيداً بموقف الأمير وشجاعته في إحدى المعارك ، مسجلاً انتصاره والتفاف قومه من حوله وما لحق بأعدائه من هزيمة وشتات : ([3])

كرام المساعي من بني القطب حماة الحمى حقا كرام المناصب
غزوت بهم أرض الأعادي فاقبلوا إليها كأمثال الجمال المصاعب

1) الديوان :ص8.
2) المصدر نفسه ص18.
3) المصدر نفسه :ص28.

عجبت لكم يا آل غانم مالكم غنائم إلا شامخات المراتب
ولله أجناد بجيزان مالهم إذا جردوا بيض الظبا من مغالب
أباد العدا با لطعن والضرب سعير جحيم من لظى الحرب لاهب

وهناك الكثير من المواقف والمشاهد والمعارك والانتصارات التي سجلها الشاعر نكتفي منها بما سبق.

كذلك يعتبر شعر الجراح بن شاجر مرجعاً تارخياً لمعرفة أسماء الكثير من القبائل والفخوذ المعاصرة له في المخلاف السليماني ، فإذا كان من الشعراء المعاصرين للجراح من ظهر في شعره جانب تاريخية المكان ، مثل ابن حمير القائل: ([1])

ما إن ذكرت الكثيب والعلما إلا جرى ماء مقلتيّ دما
ولا بدت لي النقاخيم إلا فقدت تلكم الخيما

والقائل : ([2])

ذكرت التي للغصن منها معاطف وللظبي منها مقلتان وجيد
إذا ابتسمت عن ثغرها فبديد وإن خطرت تحت القضيب فرود
حللت تهاميا وخيم أهلها بنجد وبين الحلتين بعيد
أجارتنا لا تسمعي في من وشى فحبك مني في الضلوع أكيد
فقد يتهم الإنسان وهو مبرؤ وينسب عند الغي وهو رشيد
سئمت مقامي في سهام ومربعي حديث ووادي الأشعرين رغيد
وأكدى طلابي بين مور وسردد فما أحد يهدي إليه قصيد

فيلاحظ الإكثار من ذكر الأماكن : الكثيب ، العلم ، النقا، تهامة ، نجد ، الحلتين ، سهام ، وادي الأشعرين ، مور، سردد.

فإن الجراح بن شاجر قد ظهرت في شعره تاريخية الأسماء أكثر ، واحتلت حيزاً أكبر كما في قصيدته التالية التي وجهها إلى الأمير، مشيداً بما حقق من نصر، ويخاطبه قائلاً: ([3])

ويا حبذا شم الذرى آل ذروة أجابوك إذ ناديت يا آل غالب
وأقبل من أبناء معاف وجازم ليوث عليها السر فوق المناكب
وأما بنوا المهدي فلله درهم فقاموا بحق للأماجد واجب
ولم يتخلف يابن أحمد من بني علي سوى من لم يكن بمحارب

1)محمد ابن حمير : ديوان ابن حمير ، ص129، تحقيق محمد علي الأكوع، دار العودة بيروت ، ط1، 1985.
2) المصدر نفسه، ص13.
3)الديوان ، ص29.

ومـــن آل قحطـــان اصـــطلى الحـــرب فتيـــة تغـــــادر آســـــاد الـــــوغي كالثعالـــــب
ومـــــن آل هظـــــام كعـــــب ومـــــن بنـــــي ســـراحل كـــم مـــن طـــاعن القـــرن ضـــارب

وتمضي القصيدة إلى نحو ثلاثين بيتاً على هذا المنوال من إيراد الأسماء ، ولم يكن الشاعر مشغوفاً بأسماء القبائل وبطون العشائر فحسب بل بسائر الأسماء من اسم ممدوحه المهدي إلى الأسماء الدينية والوجدانية

والطبيعية والمكانية، يقول في مطلع إحدى قصائده مخاطباً المهدي: ([1])

أيـــا منابـــك يـــا عـــز الهـــدى غـــرر وعيشـــنا بـــك صـــفو مـــا بـــه كـــدر
وصـــدعنا بـــك يـــا مهـــدي مجتمـــع وكربنـــا بـــك يـــا مهـــدي منجبـــر
وضـــيقنا بـــك يـــا مهـــدي متســـع وذنبنـــا بـــك يـــا مهـــدي مغتفـــر
وحالنـــا بـــك يـــا مهـــدي حاليـــة وحـــال أعـــدائنا يـــابن الصـــفا صـــبر
والملـــك مـــذ قمـــت يـــا مهـــدي مبـــتهج والشـــرع والمنـــع مســـرور ومفتخـــر
كـــم قـــد صـــبت يـــا إمـــام الحـــق مـــن قـــدم شـــوقاً إليـــك إلـــى أن ســـاقها القـــدر
فليهنهـــــا أنهـــــا فـــــازت بمطلبهـــــا وأنـــك اليـــوم فيهـــا الشـــمس والقمـــر
فـــانعم فأنـــت حقيـــق يـــا جمـــال لهـــا عمـــن ســـواك ولا زيـــد ولا عمـــر

فيلاحظ الأسماء : المهدي ، وقد كرر هذا الاسم ست مرات في أربع أبيات ثم بقية الأسماء : كدر ، كرب ، ضيق، حال ، أعداء ، صبر ، الملك ، الشرح ، الحق ، قدم ، شوق، القدر ، اليوم ، الشمس ، القمر ، جمال ، زيد ، عمر.

وإذا كان تكرار اسم الممدوح لا غضاضة عليه ، إذ له مدلوله العاطفي والنفعي ، فإنه يبرهن على ما سبقت الإشارة إليه من ظهور تاريخية الأسماء في شعره.

وإذا كان مديح شاعرنا لآل مهدي يعتبر صحيفة شعرية خالدة سجل مآثرهم ووقائعهم وانتصاراتهم فإنه كذلك أضفى عليهم من صفات العظمة ما أضفاه المتنبي على ممدوحيه ، فمدحهم بالشجاعة والإقدام والكرم والعدل وعراقة الأصل والأصالة في الملك والعفو عند المقدرة ، ويجمع كل هذه المعاني في بيت قائلاً :([2])

جـــن إذا ركبـــوا إنـــس إذا نزلـــوا مغنـــون إن ســـئلوا عـــافون إن قـــدروا

وهم أهل قوة ومنعة ومهابة يحمون جارهم:([3])

والمـــانعي جـــارهم ممـــا يحـــاذره إن ضـــيع الجـــار قـــوم مـــالهم خطـــر
لا ينطقـــون بمـــا لا يفعلـــون ولا يشـــينهم أشـــر كـــالغير أو وبطـــر

1) المصدر نفسه ، ص 7.
2) الديو ان : ص79.
3)المصدر نفسه : ص10.

وإذا كان الشاعر في الأسطر الأخيرة من الأبيات يعرض بخصوم ممدوحيه ، فإن التأثر يبدو جلياً بقصيدة حسان التي مطلعها : ([1])

إن الـــذوائب مـــن فهـــر وإخـــوتهم قـــد بينـــوا ســـنة للنـــاس تتبـــع

وهم سادات الملوك :([2])

هـــم الملـــوك وســـادات الملـــوك وســـا دات الملـــوك إذا يومـــاً بـــك افتخـــروا

وهو يمدح السلطان بعراقة الأصل وطيبه وبنسبه إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم فيخاطبه قائلاً : ([3])

إلـــى مـــن ســـمت فـــوق الســـماء فروعـــه كمـــا رســـت تحـــت النجـــوم أصـــول

إلـــى مـــن نمـــاه ســـيد الخلـــق أحمـــد ومـــن لا لـــه فـــي العـــالمين مثيـــل

إلـــى ملـــك أمـــا أبـــوه فإنـــه وصـــي وامـــا جـــده فرســـول

ويجمع بين المدح والشجاعة والكرم والعراقة في الحكم قائلاً : ([4])

إلـــى مـــن بأســـه أروى وأفنـــى وجـــود يمينـــه أغنـــى وأقنـــى

أميـــر المـــؤمنين بـــلا مـــراء وأكـــرم ســـيد أعطـــى ومنـــا

وأشـــجع مـــن تقلـــد مشـــرفياً غـــداة وغـــى وهـــز أصـــم لـــدنا

إمـــام مـــن إمـــام مـــن إمـــام مراتبـــه علـــى القمـــرين تبنـــا

ويقول فيه : ([5])

جـواد إذا مـا الوفـد قـد حـط رحلـه بســاحته كــادت ترحــب بالوفــد

أقـــل عطايـــاه النظـــار مواهبـــاً وقـــود الصـــناجيح المطهمـــة

إذا خامرتـــه الأريحيـــة فـــاحتكم عليـــه وزد فـــي الاحتكـــام علـــى

فلـو لـم يكـن فـي كفـه غيـر نفسـه لجـاد بهـا مـن غيـر مطـل ولا

لقد بلغ الممدوح من الكرم حدا سرى منه هذا الكرم بحكم المجاورة إلى دياره وساحاته ، حتى كادت ساحات داره ترحب بالوفد ، وأقل عطاياه أثمن الأشياء وهي الذهب والجياد.

ويلاحظ في البيت الأخير أن الشاعر يحذو حذو القائل: ([6])

ولـم لـم يكـن فـي كفـه غيـر نفسـه لجادبهـــا فليتـــق الله ســـائله

1)حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت ، ص 304، تصحيح عبدالرحمن البرقوقي ، دار الأندلس ، بيروت ، بدون تاريخ.

2) الديوان : ص9.

3) المصدر نفسه : ص22.

4) الديوان :17.

5) المصدر نفسه:ص 13.

6)البيت لزياد الأعجم ونسب أيضاً لغيره ، انظر : العمدة ، ج2 ، ص283، وورد البيت في قصيدة لأبي تمام ، قالها في مدح المعتصم ، انظر ديوان ابي تمام ، ص 219، تحقيق :شاهين.

حيث أراد المبالغة بوصفه ممدوحه بالكرم غير أنه أضاف وصفاً آخر على ممدوحه وفضله على سابقه فالممدوح هنا يجود بنفسه في الحال من غير مطل ولا وعد ، ويمدح السلطان بالعدل وخدمة الدين قائلاً: ([1])

نشر العدل في المشارق والغرب وأحيا الشريعة النبوية
واستمرت له الأمور وطالت بالجمال المفاخر العلوية
واهتدى بالهدى من كان قدما قد رماه الضلال في أهوية

ويقول مخاطباً السلطان : ([2])

يا خير ملك من قريش حملت به حصان وغدا حصان
وانتشر العدل به في الأرض والإسلام والإيمان والأمان

ويقول : ([3])

أحييت يا مهدي ملة أحمد ونصبت للدين الحنيف عمودا

ويلاحظ أن الشاعر لا يقصر مدحه على السلطان وحده ، وإنما كثيراً ما يمدح قومه ويشيد بهم ليس بصفة فردية ، وإنما بصورة جماعية كما مربنا في الأبيات ، وكما في قوله : ([4])

وملمومة قطبية غانمية جليت إلى أرض العدو المحارب
وآساد حرد خادرات نيوبها طوال القنا الخطي وبيض
كرام المساعي من بني القطب سادة حماة الحما حقاً كرام المناصب
مطاعيم في اللأوى مطاعين في بدور هدى لا كالبدور العوازب

والشاعر لا يرمي من هذا إلى تأكيد عراقة الأصل وكرم ممدوحه فحسب بل ليجعل تلك الصفات في ممدوحه أصلاً ورثه الأبناء عن الأباء.

وهو إذا كان يمدح قومه بالكرم والشجاعة والنجدة وحماية الجار وإطعام الجائع وقهر الأعداء ، ويجعل منهم أقمار منيرة بل يفضلهم على الأقمار ، فتلك أنوارها تغرب وتغيب أما أنوارهم فليس لها مغيب ويفضل السلطان عليهم ، فهم عقد هو واسطته ، وهم أنجم وهو البدر: ([5])

بنو القطب عقد والخلافة وأنت أبيت اللعن واسطة العقد
وهم أنجم والبدر أنت حقيقة تجلى فيما يخفى ضياه من البعد

1)الديوان :ص19.
2)المصدر نفسه : 22.
3) المصدر نفسه : ص 177.
4) المصدر نفسه : ص28.
5) الديوان : ص14.

والشاعر لا يفضل السلطان على قومه فحسب بل يفضله على سائر الملوك : ([1])

إلـى مـن هـو المعنـى الحقيقـي والـورى لعمـرك لفـظ والملـوك فضـول
تـروم ملـوك الأرض معشـار فضـله وذلـك شـيء مـا إليـه سـبيل

ويقول : ([2])

يـا مليكـاً يفـوق كـل مليـك وإمـام يسـود كـل إمـام

ويقول : ([3])

تـروم ملـوك العصـر إدراك شـأوه وكـم بـين صـهال جـواد ونـاهق
لـك الملـك والفضـل المبـين حقيقـه وفضـلهم ظـن بغيـر حقـائق

وهو لا يفضل ممدوحه على قومه وسائر الملوك فحسب وإنما يبالغ في مدحه وتفضيله إلى درجة الغلو وتجاوز الحد، حيث يفضله على الخلق ، وسواء أراد الخلق دون تقييد أم الخلق في زمن ممدوحه ، فهو من الغلو المشين المرفوض عقلاً وعادة ، حيث يقول مخاطباً السلطان: ([4])

إلـى خيـر الخلائـق مـن قـريش وأشـرف مـن يسـمى أو يكنـا
إلـى مـن لـو وزنـت بظفـره مـن علـى الأرضـين مـا بلغـوه وزنـا

ويقول من قصيدة أخرى: ([5])

وأنـت لـك الأقطـار شـرقاً ومغربـاً وأذعـن مـن فـي شـرقها والمغـارب
وأرهبـت يـابن الشـم مـن آل غـانم ملـوك الـورى مـن أعجـم وأعـارب
فمالـك يـابن المصـطفى مـن ولا لـك يـابن المرتضـى مـن مناسـب

ويمكن القول إن تفضيل الممدوح على أقرانه من الملوك والمبالغة في مدحه نهج سار عليه كثير من الشعراء في اليمن ، ليس في عصر الشاعر فحسب بل من سبقه من الشعراء فهذا ابن حمير من شعراء القرن السابع يقول في مدح الملك المنصور: ([6])

ذا ثالـث القمـرين هـذا ثالـث ال عمـرين هـذا أعظـم العظمـاء

ويقول فيه : ([7])

أمـا الملـوك فحـارت فـي توصـلها إلـى مـداك وقـد أعطيـت مـا حرمـوا
مـا زلـت أكـرمهم جـداً وألـزمهم عهـداً وأعظمهـم مجـداً وإن عظمـوا

1)المصدر نسفه : ص22.
2)المصدر نفسه :ص33.
3) ا المصدر نفسه : ص99.
4) المصدر نفسه : ص17.
5)المصدر نفسه : ص29.
6) ديوان ابن حمير : ص 86
7) ديوان ابن حمير ، ص 80 .

وهذا المقري يمدح السلطان الرسولي وآبائه فيبالغ في مدحهم ويفضلهم على غيرهم من الملوك : ([1])

لـــم تبـــق آبـــاء إســـماعيل مفتخـــراً ... مـــن البرايـــا لملـــك شـــط أو قربـــا
يـــا بـــن الأيـــاهم داريـــت الملـــوك معـــاً ... وحـــزت دونهـــم فـــي الحلبـــة القصـــبا
مجـــد طريـــف ومجـــد تالـــد وعـــلا ... أضـــحى بهـــا كـــل رأس للعـــلا ذنبـــا

ويقول في مدح الملك الناصر الرسولي: ([2])

أســـمى الـــورى فرعـــا وأزكـــى محتـــدا ... وأجـــل ســـابقة وأكـــرم معشـــرا

ومثل هذا نجده في مديح العيدروس ، حيث مدح السلطان الطاهري عامر بن عبدالوهاب وفضله على سائر الملوك قائلاً من قصيدة مطلعها : ([3])

عنايـــــات وتيســـــير بيســـــر ... ولطـــــف شـــــامل ودوام نصـــــر
لمولانـــــا الإمـــــام ومـــــن ترقـــــى ... علـــى كـــل الملـــوك بكـــل فخـــر
بحمـــد الله مالـــك مـــن نظيـــر ... ولا مشـــبهك فـــي عـــدل وبـــر

غير أن شاعرنا يتميز بتفوقه في الميل إلى الغلو في مديحه ، والمقارنة برموز تاريخية ، وتفضيل ممدوحه عليهم ، بل وانتقاصها واستصغارها ، وربما استخدم في سبيل إيصال هذا المعنى لفظاً عامياً فيبرز المعنى الواهي في ثوب مهلهل مشين ، كما سبق في الشواهد السابقة حين استخدم كلمة : ظفر ، مشبهك ، وكما في قوله : ([4])

فـــدع الملـــوك قـــديمهم واخيـــرهم ... فالملـــك لا يصـــلح لـــه إلا هـــو
وذر الخلافـــة مـــن أميـــة إنهـــم ... ليســـوا ولا آبـــا هـــم نظـــراه
وإذا بنـــو العبـــاس قســـناهم بـــه ... فـــي الملـــك أخطأنـــا إذا قســـناه
مـــا القـــائم الســـفاح مـــا المنصـــور مـــا ... المهـــدي كالمهـــدي ولا موســـاه

ويمضي معدداً الخلفاء من بني العباس وغيرهم ممن عرف بالكرم أو الشجاعة: ([5])

مـــا كعـــب مـــا أوس بـــن حارثـــة ومـــا ... هـــرم ومـــا الفـــتح الجزيـــل عطـــاه
مـــا الحـــارث بـــن عبـــاد بـــل مـــا عنتـــر ... فـــي البـــأس مـــا قـــيس ومـــا ورقـــاه
الكـــل مـــنهم لا يعـــادل ظفـــره ... وزنـــاً وحاشـــا ظفـــره حاشـــاه
هـــذا الـــذي لـــو لـــم يكـــن مـــن آلـــه ... إلا النبـــي المصـــطفى لكفـــاه
مـــا قابلـــت صـــيد الملـــوك بســـاطه ... إلا لهـــا شـــرف بـــذاك وجـــاه

1) إسماعيل بن أبي بكر : ديوان المقري، ص81، مطبعة نخبة آلأ خبار ، بومباي –الهند .
2) المصدر نفسه : ص182.
3)أبو بكر العيدروس : ص87، ديوان العيد روس ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1936م.
4)الديوان: ص 114.
5)المصدر نفسه:ص93.

ولـــو أنهـــم يـــوم التفـــاخر توجـــوا بنعالـــــه لزهـــــوا بـــــذاك وتـــــاهوا

فيلاحظ من خلال الأبيات أن الشاعر بالغ في تفضيل ممدوحه ، وترجيح كفته على حساب رموز تاريخية ، وقد استخدم ألفاظ تحط من قدر مديحه : الظفر ، النعال ، فجمع بين رداءة المعنى وفجاجة اللفظ.

وإذا كان الشاعر قد مدح السلطان بكل تلك المعاني السابقة الذكر من الشجاعة والإقدام والكرم وبسط اليد بالعطاء ومن العدل وإقامة ميزان الشرع ، فإنا نجده في كل ذلك منكراً ذاته متفانياً في مدحه لممدوحه فلا نلمس عنده تلك النزعة الذاتية وذلك الاعتداد الكبير بالنفس مثل الذي نلمس عند غيره من الشعراء مثل ابن حمير القائل من قصيدة مدح بها أحد وجهاء عصره : ([1])

أنـــا الفتـــى إن رحلـــت عـــن بلـــد فلـــي ســـواه الصـــديق والبلـــد
الخصـــب لـــي والخصـــيب فـــي رمـــع ومصـــر بـــل نيلهـــا لمـــن يـــرد

ومع أن شاعرنا قليل التحدث عن نفسه إلا أن طابع الجانب النفعي ليس بعيداً عن شعره من خلال ذلك الثناء بالكرم والعطاء الذي تشع منه روح الاستزادة بل أحياناً الاستجداء ، وها هو يخاطب السلطان قائلاً: ([2])

أنـــا مـــن علمـــت أديبـــك الـــرق الـــذي أعطيتـــــه مأمولـــــه ومنـــــاه
حـــج الحجـــيج إلـــى الحجـــاز وخيمـــوا بمنـــى وســـوحك حجـــه ومنـــاه
ورجـــاك متجـــره ومـــدحك فنـــه وذراك يـــا بـــن محمـــد مســـعاه

ويقول : ([3])

أنـــا أحمـــد أدعـــوك دعـــوة وامـــق غـــلام محـــب مخلـــص الـــود صـــادق
بلغـــت بـــك الآمـــال والســـؤل والمنـــى وأصـــبحت ذا حـــال بســـعدك رايـــق

ويقول : ([4])

المليـــك الـــذي تكفـــل بـــالرزق وبـــالأمن والهـــدى للبريـــة
الجـــواد الـــذي فـــيض عطايـــاه ألـــوف النظـــار والأعوجيـــة

ولا تخلو قصيدة المديح عند شاعرنا من ومضات العتاب ولفتات الاعتذار هنا أو هناك ، فمهما بلغت العلاقة بين اثنين من القوة والعمق لابد أن تعتريها فترات من الضعف والفتور ، بل كلما زادت المودة كانت أشد حساسية وأقرب للمحن وأكثر تعرضاً للهجر بفعل العذال ودندنة الحساد ، وهذه الشكوى من

1) ديوان ابن حمير : ص129.
2)الديوان :ص96.
ها المصدر نفسه :ص 40
4) المصدر نفسه: ص28.

مرارة الهجر وكيد العذال تملأ دواوين المحبين ، ولا يخفى ما عاناه المتنبي من حساده الذين كانوا سبب رحيله ومغادرته بلاط سيف الدولة ، وها هو يخاطب سيف الدولة قائلاً : ([1])

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسّدا

فلا غرابة أن يكوى شاعرنا بتلك النار وأن يعاني من كيد الحساد ومن مكر الحاقدين ، وها هو يخاطب السلطان قائلاً : ([2])

لا تشمتن بي الحسود فلم أجد منهم لعمرك غير عفوك منصفا
يا ليت عينك أبصرتهم حينما أقبلت وانصرفوا وأعطوني القفا
شمخوا وأنكرني المعارف منهم فالكل ينسبني إلى ضد الوفا
ظنوا بأنك قد صغيت مسامعاً للقول في وأن صمتك ذا جفا
لكن رضيت بما رضيت وإن يكن لا ذنب لي أبداً يكدر ما صفا

وهو في قصيدة أخرى يطلب الصفح من السلطان ويعتب عليه هجره له ويسأله عن الذي أغراه به وهو المحب المخلص الذي ما مال إلى غيره قائلاً : ([3])

يابن الصفا جد بالصفا فمن عفا عمن هفا نال الوفا بالحمد
يا عصمتي يا عمدتي يا جنتي يا جنتي يا قدري يا خلدي
من ذا الذي أغراك شلت يده ولا خلى من نكد وكد
والله مالي عنك قط منهج يوماً إلى خليفة أو جند
فليس لي ذنب سوى حسن الثنا عليكم بكل بيت فرد
لا زلت يا مهدي يا بن أحمد في نعمة ليس لها من حد

ويلاحظ هنا أن الشاعر يفيد من معاني من سبقه من الشعراء ويذكرنا بقصيدة ابن حمير التي مطلعها : ([4])

ما حال سكان العقيق بعدي بالرغم عن أهل العقيق بعدي
أسر ما ألقاه خوف حسدي والدمع للسر المصون يبدي
ما أكثر العشاق إلا أنني حملت أثقال الغرام وحدي

وإذا كانت(فضائل الناس من حيث إنهم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما كان عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك ، إنما هي: العقل والشجاعة والعدل والعفة ، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً ، والمادح بغيرها مخطئا).([5]) فإنه يمكن اعتبار

1)أحمد بن الحسين المتنبي: ديوان المتنبي ، ج1، ص 41، شرح البرقوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1980.
2)الديوان : ص40.
3) الديوان : ص25.
4)ديوان ابن حمير :ص 107.
5)قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، ص 96، تحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ.

شاعرنا مصيباً في مديحه حيث ألم بهذه الخصال ، وإن بالغ في وصفه إلى درجة الغلو كما رأينا في الأبيات السابقة.

وإن كان قد مدح بتلك الصفات المعنوية ، فإن مديحه لم يكن محصوراً في هذا الجانب أو مقصوراً عليه ، وإنما إلى جانب ذلك مدح بصفات حسية وملامح جسدية كالجمال والبهاء والحسن وإن كان قليلاً في شعره ، ومنه قوله: ([1])

أغـــر جحجـــاح أشـــم أصـــيد أنجبتـــه شـــم الأنـــوف صـــيد

وقوله :([2])

طلـــق المحيـــا لا تـــراه عابســـاً إلا إذا فقـــد المحـــل وفـــودا

وقوله : ([3])

فـــتن الغـــواني حســـنه وتملكـــت رق الملـــوك وغيـــرهم حســـناه

الغـــزل :

الغزل : اللهو مع النساء([4]) وعند قدامة هو : (المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله فكان النسيب هو ذكر الغزل ، وكان الغزل هو المعنى نفسه.([5])

والغزل عند شاعرنا يأتي بالدرجة الثانية بعد المديح من حيث الكثافة ، ويمكن أن نطلق عليه نسيباً وهو مقدمة لقصيدة المديح وجزء منها وليس مستقلاً ، والشاعر في هذا مثل غيره من الشعراء المعاصرين له ، وهم كثر سواء في اليمن أو في بقية البلاد العربية حيث امتزج الغزل عندهم بالمديح.

وإذا كان الشعراء في هذه الفترة من الزمن وعلى مستوى الوطن العربي قد نهجوا نهج الأقدمين وترسموا خطاهم في الشكل والمضمون مع التأثر ببيئاتهم ليس في المديح فحسب بل في سائر الأغراض ومنها الغزل فإن شاعرنا في ذلك كغيره من شعراء عصره.

وشاعرنا في غزله قد يقف على الأطلال فيكثر من ذكر الأماكن والديار ، وقد يتخطى ذلك كله في قصيدة أخرى فيفتتحها بالنسيب مباشرة ووصف محبوبته ، كما في القصيدة التي افتتحها بقوله :([6])

1) الديوان : ص176.
2)المصدر نفسه : ص171.
3) المصدر نفسه :ص 94.
4) ابن منظور : لسان العرب ، ج11، ص492، صادر بيروت ، بدون تاريخ .
5) نقد الشعر :ص134.
6)الديوان :ص169.

حكـــت الغزالـــة مقلتـــين وجيـــدا والطلـــع ثغـــرا كالجمـــان نفيـــدا
والبـــدر والشـــمس المنيـــرة طلعـــة والليـــل شـــعرا والنجـــوم عقـــودا

وريما افتتح الشاعر قصيدته بمقدمة من لون آخر كالعتاب والاعتذار من السلطان فيعاتبه على هجره ويعتذر له عما صدر منه ثم يأتي بالغزل كما في القصيدة التي مطلعها: ([1])

بـــالله يـــا ســـعد ســـل أهـــل ودي عـــن زلتـــي كـــانوا وكنـــت بعـــدي
ومـــا هـــو الـــذنب الـــذي أوجـــب مـــا أراه مـــــن تجنـــــب وصـــــد
وحقـــه لـــو كـــان ذا مـــن ملـــك ســـواه بانـــت رغبتـــي وزهـــدي

ثم يتخلص إلى الغزل فيخاطب السلطان قائلاً :([2])

وســـيفك القـــاطع وهـــو معتمـــد كأنمـــــا أودع جفـــــن هنـــــد
ورديـــة الوجنـــة عذبـــة اللمـــى لا فـــرق بـــين بـــدها والعقـــد

ويمضي في غزله إلى عشر أبيات ثم يتخلص إلى المديح ، ويلاحظ طول الغزل أحياناً وقصر المديح في القصيدة الواحدة ، فقد تبلغ أبيات الغزل تسعة وثلاثين بيتاً ، في حين أن أبيات المديح لا تزيد عن خمس أبيات ، كما في القصيدة التي مطلعها : ([3])

أبكـــت جفـــوني فـــاترات الجفـــون وفـــاض دمعـــي مـــن عيـــوني عيـــون

وإذا كانت قد جرت عادة كثير من الشعراء المعاصرين له على ترديد أ سماء الأماكن والديار في مقدماتهم الغزلية جرياً على عادة من سبقهم من الشعراء ، كما في قول ابن حمير: ([4])

هـــل تخبـــرن ســـقاك الغيـــث يـــا طلـــل عـــن آل ميـــة بالجرعـــاء مـــا فعلـــوا
ســـاروا إلـــى جبـــل الريـــان يـــا بـــأبي تلـــك الضـــعائن والريـــان والجبـــل

فكذ لك غزل شاعرنا يزخر بالحنين إلى الماضي ، ومعايشة ذكرياته ، بل إن عشق المكان يسيطر عليه ويطغى على غزله ، وهو لا يفتأ يتذكر أيام اجتماع شمله بأحبته ، وقربه من أهل وده ولكن ليس على طلل بال بل على تلك الربا الجميلة ، وسط الخمائل الظليلة والمياه العذبة النميرة والنسيم العليل فتأسره تلك الذكريات وتشده مرابع اللهو ومراتع الصبا ، فلا يملك إلا أن يتغنى بها ، وها هو يقول متسائلاً:([5])

هـــل الظـــل مـــن تلـــك الغصـــون ظليـــل وهـــل هـــن خضـــر مـــا بهـــن ذبـــول
وهـــل أثـــلات المنحنـــى وبشـــامه يهـــب لهـــا ريـــح الصـــبا وتميـــل

1)المصدر نفسه :ص42.
2) المصدر نفسه:ص 42.
3)المصد نفسه :ص25.
4) ديوان ابن حمير : ص69.
5) الديوان :ص20.

وهـــل ذلـــك الـــروض الـــذي بطويلـــع تـــــداول أمطـــــار بـــــه وســـــيول
ومـــا الشـــيح مـــن نعمـــان والبـــان ومـــا إذ خـــر فـــي رامـــة وجليـــل
أعـــانق ذا هـــذا وصـــافح ذا كـــذا وصـــاح علـــى ذا بلبـــل وهـــديل
وهـــل ذلـــك الربـــع اليمـــاني بعـــدنا خصـــيب الربـــا للحـــي فيـــه نـــزول
ومـــا الســـفح مـــن وادي الأراك أعـــاده علـــى الحـــال مـــأنوس الجهـــات أهيـــل
وهـــل لغـــواني الأبـــرقين كعهـــدنا بتلـــك المغـــاني مســـمر ومقيـــل

فالشاعر يتساءل عن تلك المنازل والديار ، ويلاحظ في البيت السابع أن الشاعر استخدم الأسلوب العامي حين تساءل عن حال السفح ، بكلمة أعاده التي تعني عند العامة استمرار الشيء على حاله ، فهو يتساءل هل لازال حال السفح كعهده به مأنوس الجهات أهيل.

كما يلاحظ كثرة أسماء الأماكن التي ورد ذكرها في هذا الغزل : المعنى ، طويلع ، نعمان ، رامه ، الربع اليماني، وادي الأراك ، الأبرقين ، وكثرة الأماكن في قصيدة الجراح بن شاجر تجعل الباحث يتساءل هل بالفعل تردد الشاعر على كل تلك المنازل والأودية؟ أم مجرد أسماء جرت العادة بذكرها؟ أم هي رمز لشيء واحد هو موطن محبوبه ؟ ولعل الأخير هو الأرجح ، فذكر هذه المنازل والديار وهي أجزاء من اليمن ، إنما هو حب وارتباط بها ، وموقفه في الغزل يختلف عن موقفه في المديح ويؤكد هذا الحب والارتباط تصريح الشاعر باسم اليمن ، فلا يكتفي بذكر الجزء بل يصرح باسم الكل ، يقول : ([1])

وهـــل ذلـــك الربـــع اليمـــاني بعـــدنا خصـــيب الربـــا للحـــي فيـــه نـــزول

ويقول في قصيدة اخرى:([2])

وســـل البـــرق اليمـــاني بعـــدي جـــاده كـــل وابـــل ســـحاح

ويقول من قصيدة أخرى : ([3])

يـــا ســـاكني الـــيمن الأقصـــى وجيرتـــه ومـــن ســـقوني كـــأس الحـــب ملآنـــا
إن نمـــتم وســـلوتم بعـــد فرقتنـــا مـــا نمـــت عـــنكم ولا استشـــعرت ســـلوانا
وإن ظننـــتم بـــأني خنـــت عهـــدكم يومـــاً فقـــولا معـــا لا كـــان مـــن خانـــا

وهو في موقف اخر لا يصرح بالاسم ولكن يكتفي بالإشارة: ([4])

ألا يـــا نســـيمات الجنـــوب تحملـــي ســـلامي إلـــى مـــن بالعـــذيب حلـــول

وهو يقسم على صدق ولائه وإخلاصه في حبه قائلاً :

وقـــولي لأهـــل الشـــعب والله إنـــي عميـــد بكـــم صـــب الفـــؤاد عليـــل

1)المصدر نفسه :ص20.
2)المصدر نفسه :106.
3) المصدر نفسه :179.
4) المصدر نفسه : ص21.

والشاعر في غزله يشكو بثه وحزنه وآلامه ومعاناته من الهجر والفراق والبعد والأشواق وها هو يتساءل قائلاً : ([1])

وكيف يزور النوم مقلة فاقد لمحبوبه أودى به ألم الفقد
يعض من البين المشتت بنانه ويفرك شوقاً راحتيه من الوجد
ويبكي دماً في كل وقت وساعة ويصدع أحشاه نسيم الصبا النجدي

فهو يشكو البعد والفراق وما يعقب ذلك من بكاء وأرق ، ويلاحظ في الشطر الأول من البيت الثاني تسكين التاء في تشتت للضرورة الشعرية ، وهو كغيره من شعراء الغزل المعاصرين والسابقين الذين رهفت أحاسيسهم ورقت مشاعرهم وأصبحوا يرون في الطبيعة ومن خلالها ما لا يراه غيرهم، تهفو قلوبهم لومضة برق ، وتوهن أجسادهم لخفقة نسيم: ([2])

إذا خفق النسيم الرطب وهنا كسى جسمي السقيم وها ووهنا
وإن برق الأبيرق لاح ليلا هفا لو ميظة قلبي المعنا
فمن لمتيم أضحى وأمسى يقلبه الجوى ظهرا وبطنا

ذلك أنه يذكرهم المحبوب فالشيء بمثله يذكر ، يقول ابن حمير : ([3])

يذكرني البرق اليماني زينباً فأحسبه من ثغرها المتلالي

أما البرعي فيزيده البرق شوقاً وبكاء : ([4])

أرى برق الغوير إذا تراءى بأقصى الشام زودني بكاء

وقد رسم شاعرنا محبوبته ووصفها بصفات تقليدية وسمات عربية ، فوصفها ببياض الوجه وإشراقه ، وسواد الشعر ، وهي ساحرة العينين معسولة الشفتين حمراء الخدين: ([5])

ومسحورة العينين معسولة اللمى معصفرة الخدين فاحمة الجعد
مهاة تريك الشمس نوراً ساطعاً بدت تحت ليل حالك اللون مسود

ويقول : ([6])

وبيضاء أما قدرها فمهفهف رشيق وأما ردفها فثقيل
مهفهفة الأعطاف خمصانة الحشا على خصرها سم الخياط يجول
لها طلعة أبهى من الشمس بهجة وخد حوى زهر الرياض أسيل

1)الديوان :ص10.
2)المصدر نفسه :ص15.
3)ديوان ابن حمير : ص167.
4)عبدالرحيم البرعي : ديوان البرعي ، ص64، دار الكتب الثقافية ، صنعاء ، بدون تاريخ.
5)الديوان : ص11
6)المصدر نفسه: ص 21.

وشـــعر إذا أرختـــه يســـتلم الثـــرى وطـــرف مـــريض المقلتـــين كحيـــل
وجيـــد كجيـــد الـــريم أتلـــع أغيـــد وثغـــر خفـــي كالجمـــان صـــقيل
وصـــدر كمصـــقول الســـجنجل نـــاعم عليـــه نهـــود شـــاكهن قليـــل
وفخـــذ لهـــا عبـــل لفيـــف مبتـــل وســـاق كمـــا نـــون الســـقي جليـــل

من خلال الأبيات السابقة نجد أن الشاعر حذا حذو امرئ القيس وابن أبي ربيعة في الوصف والقصص والحوار ، يصف محبوبته ويسرد قصته معها ، ومفاجأته لها ، وهتك الحجاب عنها ، ثم ما دار بينهما من حوار انتهى بتمكنه من نيل مأربه وفوزه بما أراد، وإذا كان الشاعر قد وصف المرأة وجمالها الحسي ، كما في الأبيات التي بين أيدينا والأبيات السابقة ، فإنه لم يغفل الجانب النفسي فمن خلال هذه الأبيات نجد أنه صوره نفسية المرأة وأخلاقها ، فهي شديدة الحياء يحمر وجهها خجلاً ، وهي ضعيفة النفس واهية الفؤاد ، ترتعد خيفة ووجلاً غير أن المرأة عند شاعرنا تختلف عن المرأة عند ابن أبي ربيعة بأمر واحد فإذا كانت المرأة الطالبة والشاعر هو المطلوب هناك ، فإن المرأة هنا أبية متمنعة.

يقول :

منعمة ممنعة رواح تفوق الحور والولدان حسنا [1]

ويقول: [2]

وكلما رمت لثم وجنتها تعصفرت با الحياء والخجل
هتكت عنها الحجاب فانتبهت ترعد من خيفة ومن وجل

الوصف :

إذا كان الوصف هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات ، وكان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ، ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحسن بنعته.([3])

فهل ينطبق هذا النعت على الوصف الذي بين أيدينا؟ وهل كان شاعرنا من أولئك الشعراء المقتدرين على ارتقاء سنام المعاني والإحاطة بنعوتها ؟ إن الوصف عنده من حيث المساحة يأتي بعد الغزل فهو مولع به مغرم بوصف محبوبته ، ولكنه لا يأتي استقلالاً وإنما في معارض الغزل والثناء والمديح للسلطان وفي بلاط تكريمه وتفخيمه ، تصويراً لسعة ملكه وقوة بأسه خصوصاً في الحروب والمناسبات ،

1) الديوان: ص17.
2) المصدر نفسه: ص153
3)نقد الشعر :ص130.

أما ما يأتي منه في معرض الغزل فكما سبق في الغزل ، وكما في قول الشاعر في وصف محبوبته: ([1])

بيضـــــاء كالشـــمس ضـــياء وســـنا هيفـــاء تخجـــل القنـــا بالقـــد
فرعـــاء مـــا جردتهـــا مـــن بردهـــا إلا كســـتها ظـــافرات الجعـــد
فـــي خـــدها النيـــران والجنـــات وال أنهـــار والآس وزهـــر الـــورد
ثقيلـــة الأرداف فـــوق خصـــرها مـــا لـــيس يحكيهـــا حنـــين الرعـــد
ســـجنجلي صـــدرها ســـفرجلي نهـــدها مـــن لـــي بـــذاك النهـــد

إن الأبيات تبرز قدرة الشاعر على وصف المرأة وصفاً دقيقاً ، وإبراز محاسنها وعرض مفاتنها ، وإن كانت الكلمات قد حلت محل آلة التصوير فأبرزت الصورة وجلتها أمام العين فإن للتشبيهات والصور البلاغية دورها في تحسينها وإضفاء الجمال عليها.

اما ما يأتي في بلاط السلطان فمنه: وصف معارك السلطان وانتصاراته ، وتصوير أمجاده وبطولاته ، من ذلك هذه الأبيات التي يصف بها الجيش في بعض المعارك:([2])

يمـــوج علـــى البيـــداء كـــالبحر طمـــا فـــوق ظهـــر الأرض واتســـع
كـــأن غبـــار الخيـــل ســـحب بروقهـــا مواضـــي الظبـــا والطلبخـــان لهـــا رعـــد
تـــداعو كمـــا طـــار الجـــراد وأدبـــروا وقـــالوا ألا غـــور يقينـــا ولا نجـــد
كـــأنهم ربـــد النعـــام هواربـــا ونحـــن علـــى آثـــارهم أســـد ربـــد

شبه الشاعر الجيش بموج البحر قوة وكثرة ، وهي صورة تبعث في النفس الإكبار والرهبة وشبه عجاج الخيل بالسحب وإيماض السيوف بالبروق ، وصوت الطبلخانة بصوت الرعد وشبه جيش الأعداء وقد انهزم مرعوباً بالجراد كثرة وضعفا وبالنعام التي تفر أمام الأسود الربد التي اختلط سوادها بكدرة ، إنها صور توحي بالقوة والكثرة في جيش السلطان وبالضعف والانهزام في جيش العدو، وليس في هذه الصور والمعاني ما هو جديد فهي قديمة مكررة عند من سبقه من الشعراء كالمتنبي القائل: ([3])

رميـــتهم ببحـــر مـــن حديـــد لـــه فـــي البـــر خلفهـــم عبـــاب

وابن التعاويذي القائل :([4])

وكـــأن إيمـــاض الســـيوف بـــوارق وعجـــاج خـــيلهم ســـحاب مظلـــم

1) الديوان ص :43.
2) المصدر نفسه: ص :34 .
3) ديوان المتنبي ، ج1، ص213.
4) محمد عبيد الله سبط ابن التعاوذي : ديوان سبط ابن التعاوذي ، ص 372، تصحيح : د. س مرجليوث،مطبعةالمقتطف،مصر،1903م

ومما يدخل في سلطانياته وصف موكب السلطان وقد خرج في زينته يوم عيد الفطر، يقول: ([1])

ولقد خرجت إلى المصلى مخلصاً ... لله ربك خائفاً مترقبا
في آلة ما سار فيها قيصر ... أبداً ولا كسرى العراق ولاسبا
وركبت ظهر مطهم لو أنه ... باري الظبا لكبت وفات وما كبا
للرجل قبلك يا بن أحمد هزة ... تركت عدوك وهو مخلول الشبا
متوشحين خناجرا وبواترا ... بيضا يحاكين النجوم الثقبا
زهت البيارق بين أظهرهم وقد ... نصبت ومن عاداتها أن تنصبا
والخيل عاكفة عليك وفوقها ... بيض الوجوه كأنهم نبت الربا
وبنود أعلام السرور خوافق ... والزمرراق السامعين واطرابا
والطبلخانة وهي خلفك أسمعت ... من كان في أقصى العراق مغيبا

إنها صورة زاهية لموكب السلطان أوردها الشاعر مخاطباً السلطان سالكاً مسلك الخبر ، على سبيل المدح ، كعادته في الميل إلى المبالغة ، يفضل السلطان على كسرى وقيصر وسبا ويجعل الموسيقى في اليمن تسمع من في العراق ، ويورد أسماء بعض الألات الموسيقية التي كانت مستخدمة: الزمر – الطلبخانه – الصنج ، ويمضي الشاعر في وصفه إلى ثلاثين بيتاً وقد اتكأ على التشبيه والمبالغة ، وأحسن التنسيق بين الألفاظ ومعانيها ، ولم يقتصر وصفه على الجند والمواكب السلطانية وقصور السلطان ومناسباته فحسب بل وصف رحلاته واحتفالاته والطبيعة ومجلس الأنس من ذلك قوله يصف مجلساً في ليلة أنس: ([2])

في ليلة سعودها طالعة ... بحيث ما يحوشها أفول
وجنة عالية قطوفها ... دانية وظلها ظليل
وقاصرات الطرف كل ساعة ... لها إلينا والرضا وصول
والعود في مجلسنا دخانه ... له طلوع وله نزول
وساكن العود إذا تحركت ... أوتاره هفت له العقول

ليلة سعيدة قضاها الشاعر في ظل ظليل، صحبة طرف كحيل في أجواء يملؤها الحب وأرجاء يملؤها بخور العود ، وسماع صوت النغم ، والبيت الثاني يذكرنا بالآية الكريمة (في جنة عالية قطوفها دانية) ([3])، والآية الأخرى (لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلا) ([4]) ، أما البيت الثالث فيذكرنا

1) الديوان :ص86.
2)المصدر نفسه : ص216.
3)الحاقة : 22-23.
4)النساء : 57.

بالآية الكريمة (وعندهم قاصرات الطرف عين) ([1]) وهي آيات في وصف الجنة ، كذلك فإن أول بيت يذكرنا بقول المقرى: ([2])

في ليلة كأنما سعودها مسروقة من غفلات الدهر

وهكذا يبدو تأثر شاعرنا بمن سبقه من الشعراء مع ارتباطه بمعاصريه ، وقد أجاد في الوصف وجلى موصوفه وأتى على أكثر معانيه ، وأحسن في اختيار الألفاظ وربطها ببعضها ، ويلاحظ تناسب الألفاظ مع المعاني، وإضفاء صبغة جمالية من خلال الصور والتشبيهات البلاغية.

الهجـــاء :

الهجاء ضد المدح وكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له ([3])، ويبد و من خلال الاستقراء أن شعر الهجاء عند الجراح بن شاجر قليل مقارنة بالأغراض الأخرى ، ويأتي بعد الغزل ، وهو ممتزج بقصيدة المديح ، مرتبط بالسلطان ، والخصومة لأعدائه ، يوجه لأعداء السلطان الذين كانوا على خلاف دائم وقتال دائب معه ، وإذا نظرنا إلى معاني الهجاء عند شاعرنا نجد أنه يصم هؤلاء الخصوم بالخبث والكبر كما في قوله: ([4])

سل الخبثاء عن كبش النطاح زعيم الجيش ضرغام الكفاح
وشردت الخبيث الطبع حتى غدا من سكر ذاك الكبر صاحي

ويقول : ([5])

وسل عن بأسه قوماً خباثا إذا ما عاهدوا قالوا نكثنا

وهو في موضع أخر يخاطب أحد الخصوم مستغلاً لقب السلطان – المهدي– لإحداث صورة تقابليه من خلال اللقب الذي أطلقه على خصمه – الدجال– ويصمه بالضلال قائلاً : ([6])

وتعلم انك الدجال لاقى من المهدي ما لاقى ومنا
ويا حزب الضلالة قد وقعتم وصار حقيقة ما كان ظنا

وهو كثيراً ما يصم الخصوم بالضعف والخوف والذل متخذاً من المقابلة وسيلة لتصوير معانيه وإبرازها يقول في السلطان : ([7])

1)الصافات : 48.
2)ديوان المقرى : ص350.
3)نقد الشعر : ص113.
4) الديوان:ص199.
5)المصدر نفسه:ص18.
6)المصدر نفسه :ص19.
7) المصدر نفسه : ص95.

فكأنمـــا هـــو ضـــيغم وكـــأنهم قبـــل الخليفـــة والجنـــود شـــياه
ولقـــد غـــدت احـــوالهم ونفوســـهم نهبـــا بـــرغم أنـــوفهم ورضـــاه

إنه يشبه الخليفة بالضغيم شجاعة وقوة بأس ، ويشبه الخصوم بالشياه جبناً وضعفاً ، كذلك في البيت الثاني غدت أموال الخصوم نهبا للسلطان رغم أنوفهم ، فهو يهجو برذيلة الجبن وهي ضد صفة الشجاعة التي هي إحدى الفضائل الأربع – العقل ، والشجاعة ، والعدل ، والعفة – ومن جودة الهجاء أن الشاعر يتعمد أضداد الفضائل.

وقد يشط في هجائه، فيلمس المتلقي حرارة الغضب والسخط في كلماته ، ويدرك مدى انفعال الشاعر من خلال السياق، وما يصم به خصومه من صفات الغل والجهل وقبيح الفعال، كما في قوله:([1])

وقـــد ذكـــرت مالكـــا وقومـــه ثـــم بنـــي ابـــراهيم أهـــل الغـــل
أولئـــك القـــوم الـــذين أفتنـــوا وأمعنـــوا فـــي البغـــي ثـــم الجهـــل
فكـــم تمـــادوا فـــي العنـــاد جهـــرة وكـــم تولـــوا مـــن قبـــيح الفعـــل

وإذا تأملنا في الأبيات نجد أن الشاعر لم يبتعد كثيراً عن قاعدة قدامة بن جعفر ، فهذه الرذائل أضداد لتلك الفضائل ، وبناء على ذلك يمكن القول إن هذا الهجاء يدخل ضمن الهجاء الجيد من حيث المعنى رغم سطحية بعض منه ومباشرته.

الخصائص الفنية :

بناء القصيدة :

إذا نظرنا إلى بناء القصيدة عند شاعرنا نجد أنه التزم نظام القصيدة العمودية ونهج منهج من سبقة من الشعراء القدامى ذلك النهج القائم على وحدة البيت وتعدد الموضوعات فهو يبدأ قصيدته بالمقدمة ، ثم يتخلص إلى غرضه ، وربما اشتملت قصيدته على أفكار عدة من مديح وهجاء وشكوى، ووصف ولكل منها لونه وصوره وبنيته المناسبة ، مع حرص الشاعر على إيجاد الصلة وجودة الربط وحسن التخلص ، فإذا نظرنا إلى مفتتح القصيدة أو مطلع القصيدة وجدنا براعة الاستهلال وحسن الابتداء.

حسن الابتداء :

إذا كان حسن الابتداء هو ((أن يجعل الشاعر أول كلامه رقيقاً سهلاً واضح المعاني يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته ويدل على المقصود بإشارة لطيفة))([2]) فإنه كذلك من مضان براعة الشاعر وتمكنه من فنه ((قال بعض الكتاب : أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان ، وقالوا ينبغي

1) الد يوا ن :ص199.
2)أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة ، ص419، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون.

للشاعر أن يحترز في أشعاره ... ومفتتح أقواله ، مما يتطير منه ويستجفي من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف افتقار الديار لاسيما في القصائد التي تتضمن المديح ، ويستعمل ذلك في المراثي ووصف الخطوب)) ([1]) ، وإذا نظر الباحث إلى حسن الابتداء عند شاعرنا يجد أنه – وإن أخفق أحياناً – إلا أنه وفق في كثير من مطالع قصائده حيث لوحظ حرص الشاعر على انتقاء ألفاظه وجمال أسلوبه وقرب مأخذه ، وها هو يفتتح إحدى قصائد مديحه مخاطباً السلطان: ([2])

تسنمت يا مهد ي أعلى المرا تب وأ دركـــت غـــا يـــات المنـــى والمطـــا

ويفتتح أخرى بقوله : ([3])

أياديـــك لا مـــا أمطرتـــه الســـحائب وعـــزك لا مـــا شـــاء عـــم وصـــاحب

وهو كثير ما يفتتح قصيدته متسائلاً ، كما في قوله : ([4])

أفـــي خـــدودك نيـــران وجنـــات أم أنهـــر وبســـاتين وروضـــات

وقوله : ([5])

أعنـــدك علـــم بـــالفريق المفـــارق وهـــل لـــك عهـــد بالعـــذيب وبـــارق

وقد يفتتح قصيدته بالطلب على طريقة الشاعر الجاهلي الذي افتتح قصيدته بقوله : ([6])

قفـــا نبـــك مـــن ذكـــرى حبيـــب بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومنزل

ويقول شاعرنا : ([7])

ســـلا هـــل ســـلا قلـــب المتـــيم عـــن هنـــد وعـــن جيـــرة الجرعـــاء والعلـــم الفـــرد

وربما افتتح الشاعر قصيدته بالمدح مباشرة دون مقدمة غزلية ، إذا كان الموقف يستدعي ذلك كأن نزلت به حاجة ، كما في القصيدة التي افتتحها بقوله: ([8])

أيامنـــا بـــك يـــا عـــز الهـــدى غـــرر وعيشـــنا بـــك صـــفو مـــا بـــه كـــدر

ويمضي الشاعر يمدح السلطان في هذه القصيدة التي تبلغ سبعة وأربعين بيتاً ، ومسحة الاستجداء وطلب العطاء غير خافية فيها ابتداء من مطلعها الذي يوحي بذلك إلى أن يصرح بما أوحى به المطلع قائلاً : ([9])

---

1)أبوهلال العسكري : الصناعتين ، ص 489، مكتبة النهضة ، مكة المكرمة ، المطبعة الرابعة ، 1985.

2) الديوان : ص10.

3) الديوا ن : ص209.

4)المصدر نفسه :ص78.

5)المصدر نفسه: ص98.

6) ديوان امرئ القيس: ص8.

7) الديوان : ص10.

8)المصدر نفسه :ص10.

9)المصدر نفسه :ص10.

وصـــل عبيـــدك والأجنـــاد كلهـــم ففـــيهم النفـــع يـــا مهـــدي والضـــرر
فقـم بحـالي كمـا قـام العزيـز بـه فـإنني لـك يـا مهـدي منتظـر
فأنـت أنـت ولا زيـد إليـك ولا عمـرو لأنـك سـمع المجـد والبصـر

حسن التخلص :

يـلاحظ حرص الشـاعر علـى حسـن التخلص حيث ينتقل مـن المقدمـة إلـى غرضـه دون أن يشـعر المتلقي بانتقاله، وذلك في أكثر قصائده ((وإذا كانت عادة العرب في شعرها الابتداء بذكر الديار والبكاء عليها ... ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى أخر قالت : فدع ذا وسل الهم عنك بكذا وربما تركوا المعنى الأول وقالوا: وعيسى أو وهو جاء ... فإذا أرادوا ذكر الممدوح ... قالوا إلى فلان ثم أخذوا في مديحه ... وربما تركوا المعنى الأول وأخذوا في الثاني من غير أن يستعملوا ما ذكرنا ...الخ))([1]) فإن شاعرنا لم يخرج عن هذا المنهج في شعره يتجلى ذلك في مثل قوله، بعد إنهاء الغزل والوصف بقوله:([2])

وفخـذ لهـا عبـل لفيـف متبـل وسـاق كمـا نـون السـقي جليـل
شـغفت لهـا والبـال منـي مبلبـل وجسـمي سـقيم كـالخلال نحيـل
إلـى الملـك المهـدي بـالله بكـرت لهـا عنـق مـن تحتنـا وذميـل

فيلاحظ استعمال الشاعر الأداة – إلى – في تخلصه إلى المدح وقد لا يستعمل أيا من تلك الحروف والكلمات وإنما يخرج خروجاً متصلاً بما قبله دون أن يشعر المتلقي بانتقاله ، كما في قوله في نهاية مقدمته : ([3])

يـا سـائلي عـن زمنـي وأهلـه اسـمع تجـد علـم اليقـين عنـدي
إن عاهـدوا خـانوا وإن هـم وعـدوا نكثـوا وإن وفـوا بوعـد

ثم يقول:

صـرفت آمـالي عـنهم واثقـاً بـالله ربـي والإمـام المهـدي

1) الصناعتين :ص514.
2) الديوان :ص22.
3) الديوان : ص44.

الخـــاتمة :

أما الخاتمة فهي دعاء للسلطان إما بالسلامة أو بالنصر أو بدوام الملك والبقاء ، وقد يختم قصيدته بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا يمضي الشاعر في قصيدته منتقلاً من المقدمة إلى غرضه إلى الخاتمة ومن فكرة إلى فكرة دون إحداث فجوة أو مفاجأة في انتقاله وإنما بسلاسة وفي إطار وحدة شعورية تربط بين أجزاء القصيدة.

ووحدة المشاعر هنا تقودنا إلى صدقها ، فالشاعر يعبر عن إحساس صادق ونفس معجبة مأخوذة بأخلاق السلطان ، وعظيم كرمه ونبل خلقه ، وفؤاد دفعه حب الإحسان إلى الثناء على من أسداه إليه ، وإن بالغ في ذلك ، وقد جبلت الأنفس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ، وقد سار على نهج من سبقه في غزله ،والناظر فيه يحس نبض العاطفة وحرارة الوجدان فهو صادر عن نفس محبة استرقها كرم الممدوح وهيمها إحسانه، أما الوصف فهو صادر عن نفس ذواقة للجمال وعن إحساس شاعر عاش في أحضان الطبيعة وأدرك جمالها فصوره وتغنى به.

اللغـــة :

الألفاظ : إذا نظرنا إلى ألفاظ الشاعر نجد أنه يحرص على انتقاء ألفاظه وحسن اختيارها لتكون ملائمة للمعاني مناسبة للموقف ولتكون قريبة سهلة مأنوسة ، ولا يعني هذا عدم وجود الغريب الحوشي أو المبتذل الركيك ولكنه قليل.

فمن الغريب قوله ، مخاطباً السلطان: ([1])

أفنيـــت حليـــك والنظـــار مواهبـــا فـــالألف تتبعـــه الجـــواد الســـلهبا

فالسلهب كلمة غريبة وغير مستعملة ، وهي تعني الجواد الطويل([2])

وقوله متغزلاً : ([3])

ناطـــــت قلائـــــدها بعنـــــق أتلـــــع يعلـــو وتضـــرب دونـــه الأعنـــاق

وكـــأن مصـــقول الســـجنجل صـــدرها وكأنمـــا فيـــه النهـــود حقـــاق

فيلاحظ في الشطر الأول الكلمة أتلع أي طويل ، وفي الشطر الثاني كلمة سجنجل وهي المرآ ة وكذلك يطلق على الذهب وسبائك الفضة

1)المصدر نفسه : ص84.

2)انظر :لسان العرب ، ج1، ص474.

3)الديوان:ص149.

أما الكلمات المتداولة بين العامة فمنها قوله :([1])

وأنـــت يـــا راكـــب الوجنـــاء ناجيـــة تطـــوي المهامـــه غيطانـــاً فغيطانـــا

فغيطانا كلمة كثيرة الاستعمال لدى العامة وتطلق على الوديان الواسعة وهي بمعنى الغوط والغياط جمع غائط وهو المكان المنخفض الواسع من الأرض ([2])، وقد يأتي بألفاظ مبتذلة في القصائد التي يمزج فيها بين المديح والهجاء ، وعند مقارنة السلطان بغيره كما في قوله : ([3])

وأشـــم لـــو وزن الأنـــام بنعلـــه خفـــوا وإن كثـــروا هنـــاك عديـــد

فيلاحظ في الشطر الأول كلمة نعل وهي كثيرة الاستعمال بين العامة ،ومثبتة هنا لفظاً ومعنى، وليس الوضوح للألفاظ فحسب بل يمتد إلى المعاني فهي وإن كانت لا تخرج عن معاني السابقين إلا أنها تتميز بالوضوح والقرب والتلاؤم مع الألفاظ ، في موطن القوة تأتي الألفاظ قوية وفي مواطن الرقة تأتي الألفاظ رقيقة ، كما رأينا في المديح والغزل ، وكما في قوله في موقف الحرب والقتال([4])

ومـــلأت الفجـــاج خـــيلاً ورجـــلا تـــدع الشـــامخات مثـــل الرمـــال
جحفـــل كالخضـــم زلزلـــت الأرض لـــه مـــن ســـهولها وجبـــال
مـــلأ الجـــو نقعـــه وتـــوارت فيـــه شـــمس الضـــحى وبـــدر الكمـــال

وفي حالة الصفو والوداد يقول : ([5])

برامـــة لـــي ممـــن علمـــت حبيـــب إليـــه فـــؤادي شـــيق وطـــروب
وبالجانـــب الغربـــي مـــن شـــعب عـــامر غـــزال كحيـــل المقلتـــين ربيـــب

ففي الأبيات السابقة نلاحظ الأسماء والكلمات التالية: الفجاج ، الخيل، الجحفل، الخضم ، زلزلت ، النقع وهي الفاظ تتلاءم مع معانيها وتلائم الموقف ، وكذلك البيتان الأخيران يلاحظ فيهما: حبيب فؤادي ، شيق ، طروب ، غزال ، ربيب ، وهي كذلك ألفاظ متناسقة منسجمة مع معانيها ومع الموقف تمام الانسجام.

وإذا كان الشاعر قد سلك في معانيه مسلك من سبقه حيث مدح بالكرم والشجاعة وشدة البأس وحب الجهاد ، وتغزل بجمال الطلعة والبهاء وحسن القد وتميز بالمبالغة في الوصف الحسي وتفنيد محاسن الأعضاء، فإن معانيه تميزت بالوضوح فليس هناك رمزية أو غموض أو معنى يحتاج إلى بحث او تأمل، وهو وإن استمد معانيه من سابقيه فإنه يضيف إليها ويصبغها في قالبه الخاص المتأثر بزمانه ومكانه والذي تفيض به تجربته ، يصور جيش المهدي قائلاً : ([6])

1)الديوان :ص 91.
2)انظر : المعجم الوسيط ، ج2، ص666.
3)الديوان :ص171.
4) المصدر نفسه : ص163.
5)المصدر نفسه : ص106.
6)ا امصدر نفسه:ص94.

جـــيش كـــأن غبـــاره ليـــل دجـــا وبـــارق المهـــدي شـــب دجـــاه

فالمعنى وإن كان قديماً إلا أن الشاعر أضاف إليه من واقعه حيث جعل المهدي هو الذي أشعل النار في دجاه ببارقه ونوره ،وإذا كان التشبيه بالشمس والقمر قديماً إلا أن شاعرنا يضيف إليه ما يتناسب مع الزمان والمكان والممدوح ، فيصور الممدوح بدراً يرد الطرف ليلاً مقتبساً المعنى من الآية الكريمة ((ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير)) فيقول : ([1])

و يـا شـمس فضـل عـم كـلا ضـياؤها وبـدرا يـرد الطـرف وهـو كليـل

التـأثر:

من خلال الاستقراء والنظر في الديوان يجد الباحث أن التأثر ضارب بجذوره في أعماق الديوان ، تأثر بالقرآن الكريم وبالسنة المطهرة وبالتراث الشعري وهذا يبرهن على ثقافة الشاعر الدينية والأدبية ، ومدى اطلاعه على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ودواوين الشعراء المتقدمين ، وها هو على عادته في المبالغة والغلو يخاطب السلطان مادحاً: ([2])

ولـــو جـــازت عبـــادتكم عبـــدنا وســـبحنا مخافتـــة وجهـــرا

فيلاحظ في الشطر الثاني : أنه من الآية الكريمة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) ([3])

ويقول مقتبساً من القرآن الكريم :([4])

جـــاوزت أقصـــى رتبـــة فـــي العلـــى فحســـبك الله ونعـــم الوكيـــل

من الآية الكريمة (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)([5])، يلاحظ أن الشاعر قد استمد من القرآن الكريم ، غير أنه وظف ذلك في خدمة معانيه في المديح ، ويقول من قصيدة مزج فيها بين مدح السلطان ووصف موكبه الحربي: ([6])

والصـــنج والرمـــاح قبلـــك كالرعـــد أرعـــب ســـامعيه وأرهبـــا

أمـــا ملائكـــة الســـماء فإنهـــا عكفـــت عليـــك تحـــف ذاك الموكبـــا

فيلاحظ في البيت الثاني أن الشاعر استمد معناه من الحديث الشريف الذي رواه ابو هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لله ملائكة يطوفون في الطرقات يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا)([7])

1)المصدر نفسه :ص23.

2) الديوان :ص219.

3)الإسراء: 110.

4)الديوان :ص147.

5)آل عمران:173.

6)الديوان:ص86.

7)الإمام النووي : رياض الصالحين ،ص 600، مكتبة النهضة ، مكة المكرمة ، ط4، 1985.

أما تأثره بالتراث الشعري فيبدوجلياً في الديوان من خلال تأثره بكثير من الشعراء وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على سعة ثقافته وكثرة اطلاعه على الموروث الأدبي وخاصة الشعر ، فهو وإن حاكى المتنبي في مبالغته بالمدح ، وحاكى البحتري في المزج بين الوصف والمدح ، وسلك في غزله مسلك الغزل الحسي فاعتمد القصص والحوار ووصف المحاسن وأجزاء الجسد في كثير من غزله ، فإن التأثر كذلك يبدو من خلال تلك الألفاظ المقتبسة والمعاني المستمدة التي نجدها في شعره لكثير من الشعراء ، منهم: امرؤ القيس والنابغة الذبياني والفرزدق والمتنبي وابن الفارض والبوصيري، يقول امرؤ القيس: ([1])

لـــه أيطـــلا ظبـــي وســـاقا نعامـــة وإرخـــاء ســـرحان وتقريـــب تتفـــل

ويقول شاعرنا : ([2])

وإرخـــاء ســـرحان وتقريـــب تتفـــل وعـــدو ظلـــيم فـــر وهـــو مهيـــل

ويقول النابغة الذبياني : ([3])

ولا عيـــب فـــيهم غيـــر أن ســـيوفهم بهـــن فلـــول مـــن قـــراع الكتائـــب

فيقول شاعرنا : ([4])

لا عيـــب فيـــك ســـوى تفريـــق مـــا ملكـــت يمنـــاك للوفـــد إن قلـــوا وإن كثـــروا

فيلاحظ الاقتباس في الكلمة الأولى من الشطر الأول.

ويقول الفرزدق : ([5])

مـــا قـــال لا قـــط إلا فـــي تشـــهده لـــولا التشـــهد كانـــت لاؤه نعـــم

فيقول شاعرنا : ([6])

مـــا قـــال لا فـــي ســـوى تشـــهده لـــولاه فـــرض عليـــه لـــم يقـــل

ويقول ابن الفارض : ([7])

يـــا لائمـــي فـــي حـــب مـــن أجلـــه قـــد جـــد بـــي وجـــدي وعـــز عزائـــي

هـــلا نهـــاك نهـــاك عـــن لـــوم امـــرئ لـــم يلـــف غيـــر مـــنعم بشـــقاء

فيقول شاعرنا : ([8])

فيـــا لائمـــي فـــي الحـــب إنـــك مخطـــئ بلـــومي وإنـــي فـــي البكـــاء مصـــيب

---

1)امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس ، ص21، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4، بدون تاريخ.

2)الديوان : ص23.

3)النابغة الذبياني : ديوان النابغة ، ص44، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2، بدون تاريخ.

4) الديوان :ص8.

5)الفرزدق : ديوان الفرزدق ،ص512، ضبط علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987، وانظر : كمال أبومصلح وأخرون ، :الفرزدق حياته وشعره ، ص241، المكتبة الحديثة ، بيروت ، ط1، 1987.

6)الديوان : ص154.

7)عمر بن الفارض : ديوان ابن الفارض ، ص119، دار بيروت ، 1979.

8) الديوان :ص110.

ويقول ابن الفارض : ([1])

واســـأل نجـــوم الليـــل هـــل زار الكـــرى جفنـــي وكيـــف يـــزور مـــن لا يعـــرف

فيقول شاعرنا : ([2])

ســـل نجـــوم الليـــل هـــل زار الكـــرى لـــي مـــن بعـــد نـــوى الحـــب عيونـــا

ويقول المتنبي : ([3])

واحـــر قلبـــاه ممـــن قلبـــه شـــبم ----------

ويقول شاعرنا : ([4])

واحـــر قلبـــاه ذبـــت مـــن كمـــد ----------

ويقول البوصيري :([5])

كـــأنهم فـــي ظهـــور الخيـــل نبـــت ربـــا مـــن شـــدة الحـــزم لا مـــن شـــدة الحـــزم

فيقول شاعرنا: ([6])

والخيـــل عاكفـــة عليـــك وقوفهـــا بـــيض الوجـــوه كـــأنهم نبـــت الربـــا

الصورة البلاغية:

إذا كان التعبير الشعري يتميز بكونه تعبيراً تصويرياً لا تقريرياً وأن التصوير بحاجة إلى التشبيهات والاستعارات والصور فإن الديوان الذي بين يدي الباحث يزخر بالصور والأخيلة والإيحاءات الشعرية ، ومن أبرز الصور وأكثرها في هذا الديوان التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ، وها هو يمدح السلطان مشبهاً له بالأسد شجاعة وبأساً فيقول : ([7])

وإن جـــادت الشـــجعان فـــي الحـــرب خلتـــه يكـــر علـــى الأعـــداء كالأســـد الـــورد

وهو كثيراً ما يشبه ممدوحه بالبدر علواً وجمالاً وبهاء ،وربما جمع بين المدح بالجمال والرفعة وبين الشجاعة والفروسية في صورة واحدة ، بأسلوب جميل وتصوير رائع: ([8])

وأنـــت بـــدر منيـــر فـــي الوجـــود لـــه ســـــرح الوشـــــاح علاتـــــه فلـــــك

لقد جعل من الممدوح بدراً منيراً ، فلك هذا البدر ليس في الفضاء وإنما الوشاح ، ويقصد بالوشاح هنا

---

1)ديوان ابن الفارض : ص151.

2)الديوان: ص110.

3)ديوان المتنبي :ص80.

4)الديوان: ص152.

5)محمد بن سعيد البوصيري : ديوان البوصيري ، ص247، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي ، مصر ، ط2، ط2، 1970.

6)الديوان :ص86.

7) الديو ا ن : ص 13.

8) المصدر نفسه: ص114.

السيف ، وهو كناية عن الشجاعة والجهاد ، فهو دائر في فلك القتال دائم الجهاد.

ويقول فيه من قصيدة أخرى : ([1])

وافخـــر فإنـــك بـــدر مالـــه فلـــك إلا العتـــاق المـــذاكي الســـبق الضـــمر

وضـــيغم مالـــه نـــاب ولا ظفـــر إلا طـــوال العـــوالي والظبـــا النشـــر

وعندما يتغزل بمحبوبته يتخذ من التشبيه وسيلة يصل من خلاله إلى مراده في إيصال المعنى وتوضيحه يقول : ([2])

كـــأنهن غصـــن بـــان فـــي كثيـــب نقـــا عفـــا وأثمـــر تفاحـــاً ورمانـــا

ويقول من قصيدة أخرى : ([3])

وجيـــد كجيـــد الـــريم أتلـــع أغيـــد وثغـــر نقـــي كالجمـــان صـــقيل

فهو في البيت الأول يشبه قدها بغصن بان ، وعجزها بالكثيب ، ويجعل من وجنتها تفاحاً ورماناً ، وفي البيت الثاني يشبه جيدها بجيد الريم طولا([4])، ونعومة ([5]) ، وثغرها بالجمال صفاء ورونقاً.

أما الاستعارة فمنها قوله مخاطباً ممدوحه: ([6])

ويـــا قمـــر المعـــالي صـــل علـــيهم وكـــدر صـــفو عيشـــهم المهنـــى

فيلاحظ أنه شبه الممدوح بالقمر بجامع السناء والرفعة في كل ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وقوله: ([7])

مهـــاة تريـــك الشـــمس نـــوراً وطلعـــة بـــدت تحـــت ليـــل حالـــك اللـــون مســـود

فقد شبه محبوبته بالمهاة بجامع الجمال في كل ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ، وقوله تريك الشمس حسناً ، كناية عن جمالها وبهائها.

كذلك المجاز فهو كثير في الديوان ، ومنه قوله مخاطباً السلطان : ([8])

وإن جـــودك يغنـــي كـــل مفتقـــر فضـــلاً ويخجـــل منـــه البحـــر والمطـــر

وقوله : ([9])

---

1)المصدر نفسه : ص8.

2) المص در نفسه:ص181.

3)المصدر نفسه : ص21.

4)انظر لسان العرب: ج8، ص35.

5)انظر المصدر نفسه : ج3، ص328.

6)الديوان:ص19.

7)المصدر نفسه : ص16.

8)ا لديوان :ص6.

9)المصدر نفسه : ص8.

استبشـــــر الملـــــك إذا أصـــــبحت مؤتمنـــــاً على العبـــاد فـــلا غيرتـــك الغيـــر

ومن الكناية قوله: ([1])

بعيـــــد قرطهـــــا مـــــن منكبيهـــــا فـــــويترة الرنـــــا غيـــــداء حســـــناء

البـديـع :

إذا كان الشاعر قد عاش في عصر البديع والزخرفة والمحسنات اللفظية والمعنوية ، واهتمام الشعراء بهذا الجانب وبالأخص الجانب اللفظي على حساب المعاني ، على مستوى الوطن العربي ، فإن ميزة شاعرنا تبرز هنا حيث نجد شاعريته تتألق بعيداً عن الصنعة والتصنع ، فيأتي البديع عفوياً دون تكلف ، مؤدياً وظيفته الجمالية ودوره الإيجابي الذي يحقق حرية الصورة وحركتها ويبرز الجمال ، وأكثر ما يقابلنا من ذلك : الجناس والطباق وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، كما أنه مغرم بالمبالغة بل بالغلو ، ولعل ذلك نتيجة رغبته بإشهار ممدوحه وشدة ولائه وإخلاصه له ، وها هو يخاطب السلطان بأسلوب الخبر مؤكداً أن جوده يغني كل مفتقر وأن أحقر عبد من عبيده تأتمر الخلائق بامره على سبيل المبالغة :([2])

وإن جـــودك يغنـــي كـــل مفتقـــر فضـــلاً ويخجـــل منـــه البحـــر والمطـــر

وإن أحقـــر عبـــد أنـــت ســـيده لـــــه الخلائـــــق والســـــادات تـــــأتمر

وقوله : ([3])

فـــدى لـــك أهـــل الأرض أو لهـــم أنـــا وســـائر خلـــق الله تفـــديك مـــن بعـــدي

وقوله : ([4])

خليفـــــــة مـــــــا ســـــــار إلا وحـــف بـــه الرضـــا يســـرى ويمنـــى

وزلـــزل منـــه أقصـــى الـــروم خوفـــاً وأرعـــد منـــه صـــين الصـــين شـــجنا

وربما خرج عن حد المبالغة إلى الغلو المستهجن في تعظيم ممدوحه وتحقير من سواه ، فيقول: ([5])

إلـــى مـــن لـــو وزنـــت بظفـــره مـــن علـــى الأرضـــين مـــا يلغـــوه وزنـــا

إلـــى مـــن لـــو شـــرى كـــل البرايـــا بشســـع النعـــل مـــا ســـاموه غبنـــا

إلـــى مـــن كـــل ملـــك أو إمـــام علـــى التحقيـــق لفظـــاً وهـــو معنـــى

1) ا لمصدر نفسه :ص16.

2)المصدر نفسه:ص8.

3)المصدر نفسه :ص14.

4)المصدر نفسه : ص18.

5)المصدر نفسه ص17.

وتأتي ألوان اخرى من البديع لتضفي بدورها صبغتها الجمالية ، منها المدح بما يشبه الذم منها قوله:[1]

لا عيب فيك سوى تفريق ما ملكت يمناك للوفد إن قلوا وإن كثروا

وقوله : [2]

كملت ذاته فلا عيب فيه غير قتل العدا وبذل المال

ومنها الجمع مع التقسيم ، يقول في السلطان: [3]

تجري بأنمله المنايا والمنا أبداً لمن عاداه أو والاه

فاليمن والبركات في يمناه واليسر والخيرات في يسراه

ويلاحظ في البيت الأخير الجناس بين: اليسر – يسراه ، ولا يخفى ماله (من الاستدعاء لميل السامع ، لأن النفس ترى حسن الإفادة، والصورة صورة تكرار وإعادة ومن ثم تأخذها الدهشة والاستغراب ، ولأمر ما عد الجناس من حلى الشعر)[4]

لذا كثيراً ما يحسن الشاعر بناءه الشعري به ، وها هو يفتتح إحدى قصائده قائلاً : [5]

سلا هل سلا قلب المتيم عن هند وعن جيرة الجرعاء والعلم الفرد

ويقول : [6]

أبكت جفوني فاترات الجفون وفاض دمعي من عيوني عيون

وإدراكاً من الشاعر لأهمية التقابل بين معنى ومعنى وتخالفهما ودور ذلك في تمكين الشاعر من إقامة الموازنة بين المواقف المتباينة ، إلى جانب إكساب الكلام حسناً وطرافة فإنه كثيراً ما يأتي بالطباق ، كما في قوله مخاطباً السلطان: [7]

وصل عبيدك والأجناد كلهم ففيهم النفع يا مهدي والضرر

ويقول : [8]

ولا زلت ركناً للبرية ثابتاً تميت وتحي بالوعيد وبالوعد

1)المصدر نفسه : ص8.
2) الديوان : ص162.
3)ا المصدر نفسه: ص 92.
4)جواهر البلاغة : ص402.
5)الديوان :ص10.
6) المصدر نفسه :ص25.
7)المصدر نفسه: ص10.
8) المصد ر نفسه :ص15.

الإيقـــــاع :

إذا كان الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية ([1]) فإن شاعرنا قد اعتمد أوزان سابقيه وسار على سننهم ولم يمل إلى الأوزان المستحدثة والخارجة عن أوزان الخليل كالمواليا والدوبيت ، وإن كان قد قال في الموشح إلا أنه قليل بالنسبة لشعره.

ويلاحظ أن الأوزان قد طغت على شعره حتى لا تكاد تجد الأوزان المجزوءة والمشطورة والمنهوكة ، كذلك مال إلى الأوزان الطويلة فكانت هي الغالبة على شعره ، ولعل ذلك يعود إلى أن أغلب شعره في المدح ، وإذا نظرنا إلى أبرز الأوزان التي نظم عليها نجد أنها الطويل ، الكامل ، البسيط ، الرمل ، الرجز ، المديد ، المنسرح ، الرجز ، وأن الطويل يأتي في مقدمة البحور كلها ، وكما سبقت الإشارة فإن أبرز الأغراض عند شاعرنا هو المديح ، فإذا كان شعراء الغزل يفضلون الأوزان الخفيفة فإن شعراء المديح يفضلون الأوزان الطويلة فهي التي تتسع لما يعتلج في نفوسهم من معاني المدح والثناء ، ويلاحظ الميل إلى الأوزان الطويلة عند كثير من شعراء اليمن في هذه الفترة وما سبقها حتى مطلع العصر الوسيط مثل ابن حمير وابن هتيمل والمقري وغيرهم ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل من أبرزها أن غرض المديح أخذ الحيز الأكبر بين بقية الأغراض وضعف الإقبال على شعر الغزل ، وانعدام الإقبال على شعر اللهو والمجون والشعر الغنائي الذي يتطلب الأوزان الخفيفة والرشيقة لانعدام بيئته.

ويمكن القول إن الشاعر لا يقصد إلى الأوزان قصداً ولكن عند نضوج تجربته، وعند انفعاله تفيض لسانه بإبداعه وتصبه في القالب المناسب، ومن المعلوم أن الشاعر الجاهلي ما كان يعرف أسماء البحور ، ولم يرد على لسانه ذكرها ، فالشاعر(المطبوع مستغنى بطبعه عن معرفة الأوزان وأسمائها وعللها)([2]). وعللها)([2]).

وإذا كان الشعراء يتفاضلون حسب التوفيق الذي يحالفهم في تناسب حرف الروي المتناسق مع الموسيقى المتوالية الإيقاع من أول البيت على حسب ما تمليه التجربة الشعرية في نفس الشاعر، فإن شاعرنا موفق في اختيار قافيته ورويه، فكثيراً ما يأتي الروي مناسباً ومتناسقاً غير متكلف، يقول متغزلاً:([3])

مهفهفـــة الأعطـــاف خمصـــانة الحشـــا علـــى خصـــرها ســـم الخيـــاط يجـــول

1)العمدة ، ج4، ص134.
2)العمدة ، ج1، ص134.
3)الديوان :ص21.

لهـــا طلعـــة أبهـــى مـــن الشـــمس بهجـــة وخـــد حـــوى زهـــر الريـــاض أســـيل
وشـــــعر إذا أرختـــــه يســـــتلم الثـــــرى وطـــــرف مـــــريض المقلتـــــين كحيـــــل
وجيـــــد كجيـــــد الـــــريم أتلـــــع أغيـــــد وثغـــــر نقـــــي كالجمـــــان صـــــقيل

وقليلاً ما نجد قافية مقحمة ، فضلة على المعنى لا غاية لها إلا إقامة الوزن كما في قوله : ([1])

إذا مـــا الليـــل جـــن عليـــه فاضـــت مدامعـــــه إذا مـــــا الليـــــل جنـــــا

الخـاتمة :

وهكذا يتجلى أن شاعرنا تقليدي ، مكثر مجيد من المداحين ، فأكثر شعره في هذا الغرض ، وقد مدح وهجا وأحسن وأساء ورفع وخفض بشعره وأتى بالجيد والرديء ، لم يجد الباحث في شعره ميلاً إلى المجون أو الغزل الشاذ ، أو ولعاً بالبديع والصنعة أو تعلقا بالزخرفة اللفظية وما كان سائداً في عصره ، تأثر بعدد من الشعراء المتقدمين أبرزهم المتنبي ، وجمع بين الجزالة والسهولة ، وتميز بالمبالغة في ولائه ، والغلو في مدحه ،وانتقاص الرموز التاريخية في سبيل تفضيل ممدوحه ، عاش في زمان ومكان حرجين لم يتح له الاشتهار وذيوع الصيت .

وإذا كان هذا البحث المتواضع قد جلّى بعضا من ملا مح هذا الإبداع الشعري فإن ذلك قليل من كثير فلا زال في هذا الإبداع الكثير في صوره وأ خيلته ، و أ ساليبه وتراكيبه ، وفي ألفاظه ومعانيه ، وهو ينتظر الباحثين والدارسين لكشف لثامه وإماطة نقابه ،كما أوجه الباحثين وطلاب الدراسات العليا في اليمن الميمون الى التوجه للبحث والتنقيب في المكتبات الخاصة والعامة عن الأدب وأعلامه شعرا ونثرا فلا زالت تلك المكتبات تزخر بالكثير من التراث الادبي الذي ينتظر من يخرجه إلى النور .

1)امصدر نفسه :ص15.

قائمة المصادر والمراجع :

1) جواهر البلاغة الهاشمي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، بدون.
2) ديوان أبي بكر العيدروس ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، الطبعة الثانية ، 1355هـ-1936م.
3) ديوان أحمد الحسين، المتنبي ، شرح البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1400هـ – 1980م.
4) ديوان إسماعيل بن ابي بكر المقري، مطبعة نخبة الأخبار ، بمباي ، الهند ، 1350هـ.
5) ديوان حبيب بن أوس الطائي – أبي تمام – تحقيق شاهين عطيه ، دار العلم ، بيروت ، 1992م.
6) ديوان حسان بن ثابت ، شرح عبدالرحمن البرقوقي ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان.
7) ديوان عبدالرحيم البرعي، دار الكتب الثقافية ، صنعاء ، بدون.
8) ديوان عمر بن الفارض ، دار بيروت ، 1399هـ – 1979م.
9) رياض الصالحين ، الإمام النووي ، مكتبة النهضة، مكة المكرمة ، الطبعة الرابعة ، 1401هـ – 1981م.
10) الصناعتين ، الحسن بن عبدالله العسكري ، تحقيق :د.مفيد قميحه ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1401هـ -1981م.
11) علم البيان ،د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية ، بيروت ، بدون.
12) العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ،دار الجيل ، بيروت ، بدون.
13) غاية الأماني في اخبار القطر اليماني ، يحيى بن الحسين القاسمي ، تحقيق د.سعيد عبدالفتاح عاشور ، د.محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1388هـ – 1968م.
14) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق : محمد علي الأكوع ، المكتبة اليمنية الحوالية، الطبعة الثانية ، 1409هـ -1988م.
15) لسان العرب ، ابن منظور (دار صادر – بيروت – بدون).
16) معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، بدون.

17) المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس ورفقاءه ، دار الفكر ، بدون.

18) نقد الشعر، قدامة بن جعفر،تحقيق :محمد عبدالمنعم خفاجي،دار الكتب العلمية ،بيروت ، بدون.